مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

إبدال الهمزة من حروف العلّة عند ابن جنّي في ضوء الدّرس اللغوي الحديث – سرّ صناعة الإعراب أنموذجًا –

The substitution of the vowels letters to the Hamza from at Ibn Jinni in the light of the modern linguistic lesson –The case of Sir u sina'at al Irab –(the Secrets of forming desinential inflections)

الطالب أكسين مسيف
mecifelhosseyn@gmail.com
د. نورالدين بوزناشة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

تاريخ الإرسال: 2020/03/09 **تاريخ القبول: 2020/12/22**

الملخـــص:

تسعى هذه الدّراسة إلى تتبع آراء ابن جنّي حول ظاهرة إبدال الهمزة من حروف العلّة في كتابه" سرّ صناعة الإعراب"، في ضوء ما استجدّ في علم اللغة الحديث، وهي إذْ تسعى إلى ذلك فهي تزعم الولـــوج إلى هذه الظاهرة ومحـــاولة تفسيرها وإيضاحها وتبيين مُبهَمِها، والوقوف أمام أهمّ الآراء التي بثّها ابن جنّي في سعيه لتفسير أسباب همز حروف العلّة، ومقابلتها بأبرز المشاكل الـــتي طرحها المحدثون، والتي جعلتهم ينصرفون عن توجيهات القدماء، ولا يقبلون تأويلهم وتفسيرهم.

الكلمات المفتاحية: الهمزة، حروف العلّة، الإبدال، ابن جنّي، علم اللغة الحديث.

Abstract:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

This study seeks to track the opinions of Ibn Jinni on the substitution's phenomenon of the vowels letters to the Hamza in his book "Sir u sina'at al-Irab", in the light of what has been updated in the modern linguistic. During this process, it tries to explain this phenomenon and clarify it, showing its ambiguities, as well as the identification of the most important views expressed by Ibn Jinni in his attempt to explain the reasons for the vowels letters' substitution to the Hamza before comparing them with the most prominent problematic raised by the modern linguists, which made them turn away from the guidance of the ancient linguists by rejecting their interpretation and explanation.

Keywords:
Al-Hemzah -The Vowels - The Substitution - Ibn Janni - The Modern linguistic

المقدمـــة:

شهدت الدّراسات اللغويّة في العصر الحديث تطوّرا علميًّا هائلا، اتّجهت من خلاله إلى دراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف القائم على تسجيل الوقائع في إطار سياقاتها وطبيعتها، هدفها البحث عن خصائص اللغات كافة، ثم استخلاص قوانينها العامة، وذلك بالنّظر الواعي والمعالجة اللغوية الصّرفة، والتي يمكن أن تخضع لما تخضع له الظواهر العلميّة الأخرى حتّى تنتهي إلى قوانين ثابتة، ويعدّ علم الأصوات – بشقّيه العام والوظيفي– أبرز مجالات اللغة تطوّرًا، إذ صار يخضع في جملته إلى قوانين ثابتة، باتّكائه على المعامل وأجهزة القياس ومراكز البحوث الصوتية، حتّى غدا ذا قيمة جليلة بين المستويات الأخرى، وكان هذا التّطورُ الذي شهده علم الأصوات بمثابة ثورة على النّزعات التّعليمية والأحكام المعيارية، فأعيد النّظر في كثير من الأحكام

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

التي كانت تبدو ثابتة، وروجعت كثير من النّظريات والآراء التي ظلّت راسخة قرونًا طوالًا، ولعلّ من أبرز الظواهر التي أثيرت في الوسط اللغويّ، والتي أعيد النّظر فيها من خلال التّحليل الصّوتيّ الحديث، ظاهرة إبدال الهمزة من حروف العلّة، والتي تعدّ من الإشكالات بين الدّراسات الصّوتيّة القديمة والحديثة، إذِ اختلفت التأويلات وتنوعت، حتّى وصلت إلى حدّ تخطئة المتقدّمين ووصفها بالاضطراب وعدم الدّقّة والوضوح.

وعليه تتبلور إشكالية هذه الدّراسة: كيف عالج المحدثون تفسيرات ابن جنّي لقضايا إبدال الهمزة من حروف العلّة؟ وللإجابة على هذه الإشكالية يضع البحث أمامه فرضيتين اثنتين: هل وُفّق القدماء عمومًا وابن جنّيّ خصوصًا في تخريج ظاهرة همز حروف العلّة ؟ أم أنّ للمحدثين رأيٌ آخر؟، من هنا تأتي أهمية هذا البحث، والذي يهدف إلى محاولة تفسير ظاهرة همز حروف العلّة تفسيرًا علميًّا، متّبعًا في ذلك المنهج الوصفي القائم على سرد الحقائق والظواهر اللّغوية كما هي موجودة في الواقع .

1. قواعد إبدال الهمزة من حروف العلّة بين القدماء والمحدثين:

1.1 عند القدماء:

نالت ظاهرة الهمزة حيّزًا مهمّا من التّفكير اللغوي العربيّ، حيث شغلت اهتمام اللغويين، فعقدوا لها فصولًا مطوّلة ومباحث متعددة، وأثارت بينهم مشكلات عديدة، "وكان الموضوع الرّئيس الذي شغل أذهانهم هو علاقة الهمزة بالمصوّتات الطّوال، وقد تناولوها لا على أنّها علاقة صامت بمصوّت، بل اختلفوا في طبيعة الهمزة كحرف صحيح، أو علّة، أو شبيه بالعلّة، وربطوا بين الهمزة وكلّ من الألف والواو والياء ربطًا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

صوتيًا، نتجت عنه هذه القواعد الموضوعة لضبط حالات التّبادل بينها، والتي رأوا بعضها واجب الحدوث، وبعضها جائزه، وبعضها شاذّ"[1].

ويمكن أن نصنّف قواعد إبدال الهمزة من حروف العلّة عند القدماء، وفق ثلاثة مستويات:

أ/– ما تبدل فيه الهمزة من الألف والواو والياء وجوبًا.

ب/– ما تبدل فيه الهمزة من الواو والياء جوازًا.

ج/– ما تبدل فيه الهمزة من الألف والياء شذوذا.

أمّا إبدال الهمزة من الألف والواو والياء وجوبًا، فيحدث في أربع مسائل:

الأولى: إذا تطرّفت إحداهما بعد ألف زائدة، نحو: كساء، وبناء، وحمراء.

الثّانية: أن تقع الواو أو الياء عينًا لاسم فاعل أعلّت عين فعله، نحو: قائل وبائع، الأصل: قاول وبايع.

الثالثة: إبدال حرف المدّ الزّائد الثالث همزة إذا جمع على مثال: مفاعل، نحو: قلادة قلائد، صحيفة صحائف.

الرابعة: إبدال كلّ من الواو والياء همزة، إذا وقع ثاني حرفين لينين بينهما ألف مفاعل، سواء أكان اللّينان ياءين، مثل: نيائف جمع: نيّف، أو واوين، مثل: أوائل جمع أوّل، أو مختلفين، مثل سيائد جمع سيّد وأصله: سيْود.

وتبدل الهمزة من الواو والياء جوازًا في ثلاث مسائل:

الأولى: من الواو المضمومة ضمّة لازمة غير مشدّدة، نحو: وجوه وأجوه.

[1]– عبد الصّبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت، ص 51

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

الثّانية: من الياء المكسورة بين ألف وياء مشدّدة، نحو: رائي.

الثّالثة: من الواو المكسورة المصدر، نحو: وشاح وإشاح.

وأمّا إبدال الهمزة شذوذًا كأنْ ترتجل همزًا لا أصل له، ولا قياس يعضده، نحو: جأن ورجلأ[1].

2.1 عند المحدثين:

يرى المحدثون أنّ إبدال القدماء لحرف الهمزة قد اعتوره خلطٌ كثير، وذلك لعدم وجود علاقة صوتية بين الهمزة من جهة وبين حروف العلّة من جهة أخرى مطلقًا، تعين على القول بإمكان حدوث تبادل بينهما، طردًا أو عكسًا، سواء أكان إبدالًا واجبًا أم جائزًا أم شاذًّا، وبمقتضى هذا الحكم، فقد أقرّوا بخطأ القدماء في كلّ ما زعموه من دعاوى الإبدال في هذا الباب، بسبب عدم وجود العلاقة الصوتيّة لحدوث الإبدال"[2].

ويرى المحدثون أنّ الطّريقة التي عالج بها علماؤنا القدامى ظواهر الإعلال تحتاج إلى إعادة نظر، ذلك أنّهم "اهتمّوا باللغة في جانبها المكتوب أكثر من اهتمامهم بالجانب المنطوق، وتعاملوا مع الكلمة على اعتبار أنّها من طبيعة بصَرية، أي على اعتبار أنّها رسمٌ كتابي، ونسوا أو تناسوا طبيعتها النّطقيّة، ممّا أفقدها أهمّ خصائصها، وعقّد قواعد هيئاتها تعقيدًا لا داعي له، ولو أنّ علماءنا لم يقتصروا في النّظر إلى الكلمة على شكلها الكتابيّ، ونظروا إليها وإلى حركاتها نظرة مختلفة، وميّزوا بين الرّسم الخطّي، وحال النّطق

[1]– ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدّم له ووضع هوامشه: حسن حمد، إشراف الدكتور: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج4، ص 87 وما بعدها، وينظر كذلك: القراءات القرآنية لعبد الصبور شاهين، ص 51 وما بعدها.

[2]– عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 77

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

الذي قد تختلف طبيعته عمّا هو مكتوب، وحاولوا التّوفيق بين المكتوب والملفوظ في نظامنا اللغويّ، لتمكّنوا من استنباط قواعد بسيطة تغني عن كلّ هذه المصاعب، وكان من الممكن أن تصير الأقيسة والنّظريات التي اعتمدوها في طرح قضايا الإعلال ومعالجتها أبسط وأيسر[1].

وانطلق المحدثون في تفسيرهم من فكرة رئيسة، هي انعدام العلاقة الصوتية بين الهمزة وحروف العلّة، فهناك تعارضٌ كاملٌ بين طبيعة الهمزة من جانب، وطبيعة الحركات من جانب آخر، فالهمزة صوت حنجريّ انفجاري مهموس، وهي بذلك تعدّ من الصّوامت، بينما حروف العلّة أصوات انطلاقية، تخرج من منطقة الفم بعيدًا عن الحنجرة والحلق واللهاة، وهي أصوات مجهورة، فالمخرجان متباعدان كلّ البعد، وهو السّبب الرّئيس في امتناع عمليّة الإبدال بينهما[2].

فالطبيعة الإنتاجية لحروف العلّة في ضوء علم اللغة الحديث، ناجمة عن تتابع الحركات المختلفة طويلة أو قصيرة، فإذا تتابعت حركتا الفتحة والكسرة هكذا: $\frac{a+i}{y}$ نتج صوت الياء، وإذا تتابعت حركتا الفتحة والضمّة هكذا: $\frac{a+u}{w}$ نتج صوت الواو، أي أنّ الانزلاق بين الحركتين المختلفتين هو في الحقيقة ما يسمّى بالياء أو الواو، وإذا لم يحدث هذا الانزلاق نتيجة الفصل بين الحركتين لم تنتج الواو أو الياء[3].

[1]– عبد المقصود محمد عبد المقصود، دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2006، ص ص 5، 6

[2]– عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتيّ للبنية العربيّة، رؤية جديدة في الصّرف العربيّ، مؤسسة الرسالة،، 1980، ص 172

[3]– المرجع نفسه، ص 30

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

وكان ممّن عاب على المتقدّمين تفسيرهم لظاهرة همز حروف العلّة الباحث عبد الصبور شاهين، الذي حاول أن يقدّم تفسيرًا جديدًا قائمًا على أساس النّبر، إذ يرى أنّ أساس الحلّ لن يتأتى إلّا عن طريق التّحليل الصّوتيّ للعناصر المركّبة، وعن طريق هذا التّحليل نستطيع التّعرّف على ما تبقّى من العناصر الصّوتيّة وما حذف منها، كما نستطيع تحديد وظيفة الهمزة في السّياق الصوتيّ، وهو إذ يقرّر ذلك فهو يبني تفسيراته على مجموعة من المبادئ، أهمّها:

1. الأصل والأغلب في الوقف هو السّكون، ومقتضى هذا أنّه لا يوقف على متحرّك، وبعبارة أخرى لا يوقف على مقطع مفتوح، ولكنّهم لم يطبّقوا ذلك منهجيًّا، بل اعتبروا حروف العلّة وأشباهها سواكن لا حركات، ولئن جاز ذلك بالنّسبة لأشباه حروف العلّة فإنّه لا يجوز بالنّسبة لحروف العلّة نفسها إلّا ضرورة نحوية أو دلاليّة.

2. قالوا: لا يبتدأ بساكن بل بمتحرّك، فقد أغفلوا النّصّ على أنّه لا يبدأ بحركة، وهو طبعٌ في اللسان العربيّ لم يتعوّد خلافه، والسّبب في إغفالهم هذه الخاصية النّطقية أنّهم لم يمنحوا الحركة وجودًا مستقلًّا عن السّاكن، بل تصوّروها دائمًا تابعًا له، وبديهي أنّهم أخرجوا حروف العلّة وأشباهها من جملة الحركات، وهي في رأينا تكبير للحركات، أو تركيب لا يستساغ في بداية الكلمة.

3. ومن المسلّم به أنّ العرب يكرهون النّطق بمقاطع مفتوحة متوالية، ومن ثمّ لجأوا إلى إقفال بعض هذه المقاطع المفتوحة، وهو ما اتّخذ أحيانًا صورة "الإسكان"، وأحيانًا شكل "الإدغام"[1].

[1]– عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ص 87، 88، وينظر كذلك: المنهج الصوتيّ للبنية العربيّة، رؤية جديدة في الصّرف العربيّ، عبد الصبور شاهين، ص ص

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

فالمحدثون يرون أنّ إبدال حروف العلة همزًا، خاضعٌ لجملة من العوامل التي تتّصل بخصائص النّطق العربيّ، فالنّاطق العربيّ لا يقف على متحرّك، ولا يبدأ بساكن، ويكره النطق بمقاطع مفتوحة متوالية، ومن ثَمّ لجأ إلى إقفال بعض هذه المقاطع المفتوحة، باجتلاب الهمزة، فاضطراره إلى الهمز إنّما وسيلة للهروب من تتابع الحركات، أي لتكوين مقطع عربيّ سليم، وهو صورة من صور النّبر أو المبالغة فيه، فطبيعة الهمز عند العربيّ دليلٌ على وظيفة، قبل أن يكون دليلًا على صوت لغويّ، وعليه فالقول بوقوع الإبدال بين الهمزة من جانب، وأصوات المدّ والعلّة من جانب آخر، قولٌ لا تؤيّده الحقيقة الصّوتيّة، لبعد ما بين الجانبين، وهو أيضًا قولٌ لا ينهض لتفسير مشكلة التّغيّر الذي تتعرّض له الكلمة العربيّة[1].

2. إبدال الهمزة من حروف العلّة عند "ابن جنّي" في كتابه: "سرّ صناعة الإعراب":

1.2 إبدال الهمزة من الواو والياء:

أ/– إبدال الواو المضمومة أو المكسورة همزة إذا كانت في بداية الكلام:

يرى ابن جنّي أنّ الواو تبدل همزة بدلًا مطّردًا إذا انضمّت ضمّا لازمًا، نحو قولك في وجوه: أجوه، وفي وعد: أعد، وفي وقّتت: أقّتت، ويعلّل أبو الفتح سبب إبدال الواو همزة بقوله: "... **فإن قيل ولِمَ الهمزُ في الواو المضمومة؟ قيل: لأنّ الضمّة قد تجري مجرى الواو، وهي واوٌ صغيرةٌ...فلمّا كانت الحركة مضارعةً للحرف هذه المضارعة،**

173، 174، وينظر أيضًا: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطوّرا، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة منقحة، 2011، ص 151

[1]– عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتيّ للبنية العربيّة، رؤية جديدة في الصّرف العربيّ، ص 173

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

صارت الواو بمنزلة الواوين، فجاز همزها من حيث وجب همز (واصلة) إذا قلت: (أواصل)، وأصلها في التّقدير (وواصل).[1]

وعلى هذا المنوال سار الفرّاء في توجيه قراءة "وإذا الرّسل أقّتت"، اجتمع القرّاء على همزها، وفي قراءة عبد الله: وقّتت بالواو ... وإنّما همزت لأنّ الواو إذا كانت أوّل حرف وضمّت هُمِزتْ... وذلك لأنّ ضمّة الواو ثقيلة، كما كان كسر الياء ثقيلًا،[2] أمّا سيبويه فقد كان يرى بالخيار بين ترك الواو واوًا وبين إبدالها همزةً، "واعلم أنّ هذه الواو، إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار، إن شئت تركتها على حالها، وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها.[3]

ب/– ما كانت لامُه ياءً أو واوًا طرفًا بعد ألفٍ زائدةٍ: ومن صور إبدال الهمزة من الواو والياء، ما أورده ابن جنّي "**وقالوا أيضًا: قضاء وسقاء وشفاء وكساء وشقاء وعلاء، وكذلك كلّ ما وقعت لامه ياءً أو واوًا طرفًا بعد ألف زائدة، وأصل هذا كلّه: قضاي وشفاي وكساو وشقاو وعلاو، لأنّها من قضيتُ وسقيتُ وشفيتُ وكَسَوْتُ والشّقوة وعَلَوْتُ، فلمّا وقعت الياء والواو طرفين بعد ألف زائدة، ضُعِفتا لتطرفهما ووقوعهما بعد الألف الزائدة المشبّهة للفتحة في زيادتها**"[4]، ويعلّل ابن جنّي

[1]– ينظر: ابن جنّي ،سرّ صناعة الإعراب، ت: محمد حسن إسماعيل وأحمد شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2007، ص 106 وص 110

[2]– د. رمضان عبد التوّاب، مشكلة الهمزة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1996، ص 154

[3]– أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1966، ج4، ص 331

[4]– ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص ص 106، 107

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

مجيء الهمزة بدلًا من الواو والياء في هذه الأمثلة بقوله: "فكما قُلبت الواو والياء ألفًا لتحرّكهما، ووقوعهما بعد الفتحة، في نحو: عصا ورحى، كذلك قُلبت ألفًا أيضًا، لتطرّفها وضعفها، وكَوْنِ الألفِ زائدةً قبلها في نحو: كساء ورداء، فصار التّقدير: قضاا، وسقاا، وشفاا، وكساا، وشقاا، وعلاا، فلمّا التقى ساكنان كرّهوا حذف أحدهما، فيعود الممدود مقصورا، فحرّكوا الألف لالتقائهما فانقلبت همزة، فصارت قضاء وسقاء وشفاء وكساء وعلاء"[1] .

ويذهب أبو الفتح إلى أنّ الموجب في إبدال الواو والياء همزةً، هو تطرّفُها بعد ألف زائدة،" أمّا قولهم: عباءة وصلاءة وعضاءة، فقد كان ينبغي لّما لحقتها الهاءُ آخرًا، وجرى الإعراب عليها، وقويت الياء بِبُعدها عن الطّرف ألّا يهمز، وألّا يجوز فيه الأمران، كما اقتصر في: نهاية وغباوة وشقاوة وسعاية ورماية، على التّصحيح دون الإعلال[2]، ويفسّر ابن جنّي سبب اعتبار الهاء في مثل: غباوة وشقاوة ورماية، وعدم اعتبارها في مثل: قناة وقطاة وحصاة، وإن كانت بعدها الهاء بأنهم إنّما أجْرَوا الألف في نحو كساء ورداء مجرى الفتحة، في أن قلبوا لها ما بعدها من الياء والواو، كما قلبوا للفتحة نحو: عصًا ورحًى، ما دامت الياء والواو طرفين ضعيفين، وإلّا فقد كان ينبغي أن تصحّ الياء والواو بعد الألف، لأنّهما إذا وقعتا بعد الحرف السّاكن صحّتا، وذلك نحو: ظبي ودلو، ولكنّهم لّما رأوا الألفَ زائدة كزيادة الفتحة، وكانت الفتحة بعض الألف، جوّزوا إعلالهما وقلبهما، ما دامتا طرفين ضعيفين، فإذا تحصّنتا وقويتا بوقوع الهاء بعدهما، لم تبلغ الألفُ من إيجاب قلبهما مبلغَ الفتحة الصّريحة، فأمّا قناة وفتاة فإنّ واوهما وياءهما وقعتا بعد

[1] – المرجع نفسه، ص 107

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

الفتحة المحضة الموجبة للقلب، فلم تبلغ من قوّة الهاء معهما أن تحصّنَ الواوُ والياءُ من إعلال الفتحة المحضة لهما"[1].

فابن جنّي يرى أنّ إبدالَ الواو والياء همزةً يكون إذا وقعتا طرفين بعد ألفٍ زائدةٍ، فوقوعهما بعد ألفٍ زائدةٍ هو الذي جعلهما طرفين ضعيفين، فكان ذلك سببًا في إعلالهما، أمّا إذا وقعت الهاء بعدهما لم تبلغ الهمزة منهما شيئًا.

جـــ/–ما كان على وزن" فاعل" من الفعل الأجوف: ومن الأمثلة التي تبدل فيها الهمزة من الواو والياء، قـــول ابن جنّي: "...**وقالوا قائم وبائع، فأبدلوهما من الواو والياء**"[2]، وقال في موضع آخر مبيّنًا سبب مجيء الهمزة بدلًا من الواو والياء: " **إنّما وجب همز عين اسم الفاعل إذا كان على وزن فاعل، نحو: قائم وبائع، لأنّ العين كانت قد اعتلّت فانقلبت في قام وباع ألفًا، فلمّا جئت إلى اسم الفاعل، وهو على وزن فاعل، صارت قبل عينه ألف فاعل، والعين قد انقلبت ألفًا في الماضي، فالتقت في اسم الفاعل ألفان، وهذه صورتهما: قاْاْم، فلم يجز حذف إحداهما فيعود إلى لفظ قام، فحُرّكت الثانية التي هي عين، كما حُرّكت راء ضارب، لأنّ الألف إذا حُرّكت صارت همزة، فصارت قائم وبائع**[3].

وهذا الذي ذهب إليه أبو الفتح يكاد يكون قاعدة مطّردة عند علماء العربية، يقول سيبويه: "اعلم أنّ فاعلًا منها مهموز العين، وذلك أنّهم يكرهون أن يجيء على

[1]– المرجع نفسه، ص 110

[2]– سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، ص 106

[3]– ابن جنّي، المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ت: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 244

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

الأصل مجيء ما لا يعتلّ فعل منه، ولم يصلوا إلى الإسكان مع الألف، وكرهوا الإسكان والحذف فيه، فيلتبس بغيره، فهمزوا هذه الواو والياء إذا كانتا معتلّتين وكانتا بعد الألف، وذلك قولهم: خائفٌ وبائعٌ "[1].

د/– إذا التقت واوان في بداية الكلمة تهمزُ أولاهما: ومن الأمثلة التي أوردها ابن جنّي، قوله: "**وإذا التقت واوان في أوّل الكلمة، لم يكن من همز الأولى بُدٌّ، وذلك أنّ الأولى أصلُها وولى...**"[2]، ويفسّر ابن جنّي سبب قلب الواو همزة إلى كراهية التّضعيف في بداية الكلمة بقوله: "**اعلم أنّ التّضعيف في أول الكلمة عزيز قليل... فلمّا قلّ التّضعيف في الحروف الصّحاح في أول الكلمة، امتنع في الواو لثقلها، فمن هنا وجب الهمز**[3].

وإبدال الواو الأولى همزة في مثل هذه البنى، يطّرد في كلام العرب، يقول ابن عصفور: "الواو لا تخلو أن تكون أوّلًا أو غير أوّل، فإن كانت أوّلًا فلا تخلو أن تكون وحدها، أو ينضاف إليها واوٌ أخرى، فإن انضافت أخرى أبدلت الأولى همزة هروبًا من ثقل الواوين، وذلك نحو قولهم في جمع واصل: أواصل، أصله: وواصل، وكذلك: أوّل أصله: وول"[4].

2.2 إبدال الهمزة من الألف:

[1]– سيبويه، الكتاب، ج4، ص 348

[2]– ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص 110

[3]– ابن جنّي، المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ج 1، ص 332

[4]– ابن عصفور، الممتع في التّصريف، ت: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ج1، ص 332

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

أ/– **إبدال ألف التأنيث همزة:** ذكر ابن جنّي أنّ الألف تبدل همزة، إمّا إبدالًا مطّردًا ،و إمّا إبدالاً شاذًّا مرتجلًا، فمن الصّور التي تبدل فيها الهمزة من الألف إبدالًا مطّردًا قوله: "**وقد اطّرد عنهم قلب ألف التأنيث همزة، وذلك نحو: حمراء وصفراء وصحراء وما أشبه ذلك، والقول في ذلك: إنّ الهمزة في صحراء وبابها، إنّما هي بدلٌ من ألف التأنيث، كالتي في نحو: حبلى وسكرى وبشرى ... إلّا أنّها في حمراء وصحراء وقعت الألف بعد ألف قبلها زائدة، فالتقى هناك ألفان زائدتان، الأولى منهما الألف الزائدة، والثانية هي ألف التأنيث، فلم تخلُ من حذف إحداهما أو حركتها، فلم يجز في واحدة منهما الحذف، أمّا الأولى فلـــو حذفتها لانفردت الآخرة، وهم قد بنوا الكلمة على اجتماع ألفين فيها، وأمّا الآخرة فلو حذفتها لزالت علامة التأنيث التي وسمت الكلمة بها، وهذا أفحش من الأوّل، فقد بطل حذف شيء منهما، وأمّـــا الحركة فقال سيبويه: إنّه لّما انجزم الحرفان حُرّكت الثانية منهما، فانقلبت همزةً فصارت: حمراء وصفراء وصحراء، كما ترى**"[1].

ويقلّب ابن جنّي الأمثلة التي ذكرها تقليبًا عقليًا ليبرهن بأنّ الهمزة في باب حمراء وصحراء وما أشبههما، إنّما هي مبدلة من ألف التأنيث وليست بمزيدة، ويفسّر العلّة التي دعت النّاطق العربيّ إلى قلب الهمزة ياءً في الجمع،" **ذلك أنّك إذا صرت إلى الجمع لزمك أن تقلب الأولى ياء لانكسار الرّاء في صحاريّ قبلها، كما تنقلب ألف صحراء الأولى ياء، فتصير في التقدير: صحارى ا، وصلافى ا، وخبارى ا، فتقع الياء السّاكنة قبل الألف الآخرة الرّاجعة عن الهمزة، لزوال الألف من قبلها، فتنقلب الألف ياء،**

[1]– ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص ص 98، 99

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

لوقوع الياء ساكنة قبلها، وتدغم الأولى المنقلبة عن الألف الزائدة في الياء الآخرة، المنقلبة عن ألف التأنيث فتصير صحاريّ"[1] .

ب/– إبدال الألفِ همزةً ارتجالًا وشذوذًا: ومن الصور التي عرض لها ابن جنّي والتي تبدل فيها الهمزة من الألف ارتجالًا وشذوذًا: **"نحو ما حُكي عن أيوب السّختياني أنّه قرأ" ... ولا الضّألين" فهمز الألف، وذلك أنّه كره اجتماع السّاكنين: الألف واللام الأولى، فحرّك الألف لالتقائهما فانقلبت همزة، لأنّ الألف حرفٌ ضعيفٌ واسع المخرج لا يتحمّل الحركة، فإذا اضطرّوا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة... وحكى أبو العبّاس عن أبي عثمان، عن أبي زيد، قال: سمعت عمر بن عبيد يقرأ: "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جأن" فظننته لحن، حتّى سمعت العرب تقول: شأبة ودأبة"**[2].

وذهب ابن جنّي إلى أنّ تحقيق الهمز يكاد يتّسع عن العرب، خاصة في الوقف، يقول: **"وحكى سيبويه في الوقف عنهم: هذه حبلأ يريد حبلى، ورأيت رجلأ يريد رجلًا، فالهمزة في رجلأ إنّما هي بدل من الألف التي هي عوضٌ من التّنوين في الوقف، ولا ينبغي أن تحمل على أنّها بدلٌ من النّون، لقرب ما بين الهمزة والألف، وبعد ما بينها وبين النون، ولأنّ حبلى لا تنوين فيها، وإنّما الهمزة بدلٌ من الألف البتّة، فكذلك ألف "رأيت رجلًا"**[3].

3 . ملاحظات المحدثين على آراء ابن جنّيّ:

[1]– المرجع نفسه، ص 100

[2]– ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص ص 86، 87

[3]– المرجع نفسه، ص 88

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

1.3 إبدال الهمزة من الواو والياء:

أ/– إبدال الواو المضمومة أو المكسورة همزة إذا كانت في بداية الكلام:

شاع بين المحدثين أنّ تعليل هذه الظاهرة مردّه إلى قانون المخالفة، فقد ذهب بروكلمان إلى القول إنّ العربيّة تخالف الواو قبل الضمّة إلى الهمزة أحيانًا، مثل العلم الشّخصيّ: وهيب ⟵ أهيب.[1]

وإلى الرّأي نفسه ذهب الباحث فوزي الشّايب، إذ يقرّر أنّ إبدال الهمزة من الواو في مثل هذه الكلمات غيرُ صحيحٍ، " لأنّ البعد الشّديد بين الواو والهمزة في المخرج وفي الصّفة، لا يجعل هناك مجالًا للتّبادل بينهما، أمّا الهمزُ في هذه الأمثلة فلا يزيد على كونه مخالفةً بين عنصري المزدوج الصّاعد wu، في مثل: وقّتت ⟵ أقّتت ... ولقد عدّ السّلف همزَ الواوِ المضمومةِ ضمّا لازمًا قياسًا مطّردًا، وهذا غير صحيح، والتّفسيرُ الصّحيحُ الذي نرتضيه لا يزيد على كونه مخالفةً بين عنصري المزدوج الصّاعد "و: wu"، بحذف شبه الحركة، وتحقيق الحركة فتتخلّق الهمزة.[2]

أمّا الدّكتور رمضان عبد التّواب، فقد أرجع علّة ذلك في كتابيه "مشكلة الهمزة" و"التّطور اللغوي"، إلى الحذلقة والمبالغة في التّفصّح، إذ يرى أنّ العربيّة يشيع فيها "همز ما ليس أصله الهمز، بسبب عقدة الحجازيين في صوت الهمزة، وتوهّمهم في الأمثلة التي يوجد في مكان منها واوٌ أو ياءٌ، أنّهما ناتجتان عن الانزلاق بين الحركتين، بعد سقوط

[1] – كارل بروكلمان، فقه اللغات السّامية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، د ط، د ت، ص 77

[2] – فوزي الشّايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004، ص 430

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

الهمزة في نطقهم، ولذلك يزيدون في هـــذه الأمثلة همزات غير أصلية فيها، على طريق الحذلقة والمبالغة في التّفصّح .[1]

ويرى الباحث عبد الصبور شاهين أنّ القدماء والمحدثين اتّفقوا على أنّ الواو المكسورة والواو المضمومة في أوّل الكلمة تقلب همزة، وأنّ السّبب في القلب ثِقَلُ الواو مع كلتا الحركتين، قصيرتين أم طويلتين، يقول مفسّرًا سبب الهمز" ونردّ نحن سبب هذا الهمز إلى الاتّجاه العام الذي سبق أن ذكرناه، وهو كراهة أن تبدأ الكلمة في العربيّة بحركة.[2] ومن ثَمّ جيء بالهمزة في موقع الواو تصحيحًا لبنية المقطع .

وينحو الباحث أحمد سالم منحى عبد الصّبور شاهين، فيعتقد أنّه وإن كان هناك اتّفاقٌ بين المتقدّمين والمحدثين في حديثهم عن ثقل الواو المضمومة، وأنّ ما يجري عليها من تطوّر خاضعٌ للجواز، إلّا أنّ المتقدّمين يرون أنّ ثمّة إبدالًا بين الواو والهمزة، والحقيقة أنّ الإبدال لا يكون إلّا بين الحروف التي بينها تقارب، ولا تقارب بين الواو والهمزة، لذا فإنّي في هذه المسألة أميل إلى ما رآه عبد الصبور شاهين، الذي يرى أنّ الواو المضمومة إذا استثقلت فإنّها تسقط، وتأتي الهمزة مكانها، تصحيحًا لبنية الكلمة[3]، لذلك فهو يرى أنّ مجيء الهمزة مكان الواو، ليس مردّه إلى التّعويض المقطعيّ، وهذا الذي حصل للكلمات مثل: وجوه ⟵ أجوه:

وجـــوه .. جوه أجوه

[1] – رمضان عبد التّواب، مشكلة الهمزة في اللغة العربية، ص 153

[2] – عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 129

[3] – د سالم أحمد بني حمد، المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدّراسات الصّوتية الحديثة، دار اليازوري، الأردن، ط 1، 2011، ص 206

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

Wuguh ..uguh uguh

فالصيغة الأولى (الأصل) جاءت فيها الواوُ المضمومةُ التي تشكّل مع حركتها الحركة المزدوجة (wu)، وهي حركةٌ مستثقلةٌ، إذ يلجأ بعض النّاطقين بالعربيّة إلى التّخلص من هذا الثّقل عن طريق المخالفة بين عنصري هذه الحركة (الواو والضمّة wu)، وذلك بحذف شبه الحركة الواو وبقاء حركتها، وهذا ما تمثّله الصّيغة الثانية، ولما كانت الحركة المزدوجة تشكّل المقطع الأوّل من الكلمة، صار المقطع الأول بعد حذف شبه الحركة (w) يبدأ بحركة، وهذا لا يجوز البتة في اللغة العربيّة، لذا تلجأ اللغة لسدّ هذا الخلل عن طريق اجتذاب الهمزة، ليصحّ الابتداء بالمقطع الصّوتيّ الأول، إذْ جاءت الهمزة هنا لا على سبيل الإبدال، بل على سبيل التعويض المقطعيّ، أي لتحُلّ محلّ صَوْتٍ حُذِفَ، للمحافظة على البنية الإيقاعية للكلمة التي حذفت منها الواو[1].

ب/– ما كانت لامه ياءً أو واوًا طرفًا بعد ألف زائدة: اتّجهت الدراسات الحديثة اتّجاهًا مغايرًا لما أوضحه ابن جنّي، فالباحث عبد الصبور شاهين يفسّر سببَ الهمزِ في هذه الحالة بخاصيّة الوقف العربيّ الذي لا يمكن أن يكون على حركة، مثل: كساء kisaa+u، فحذفت الضمّة المولّدة للواو بازدواجها مع الفتحة الطويلة، وأقفل المقطع بصوت صامت هو الهمز، التي تستعمل هنا قفلًا مقطعيا، تجنّبًا للوقوف على المقطع المفتوح[2]، فمردُّ الهمزة عند الباحث هو تصحيحُ نهايةِ الكلمة، لأنّه" إذا كان الأصل في الوقف هو السكون، فإنّ معنى ذلك أنّ العربيّة تكره الوقف على مقطع

[1]– المرجع نفسه، ص 207

[2]– عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص 177

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

مفتوح، ولذلك تتجه إلى إقفالها بوسيلة ما، ومعنى ذلك أيضًا أنّ نحو: كساو وبناي وأمثالهما، ينتهي المقطع الأخير من كلّ منهما بحركة، هي أحد عنصري الحركة المزدوجة، التي نشأت عنها الواو أو الياء، وهي حالةٌ في الوقف لا تتّفق مع طبيعة النّطق العربيّ، فآثَرَ النّاطق إقفال هذا المقطع المفتوح، بإحلال الهمزة محلّ صوت اللّين، لا على سبيل الإبدال، بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة، ولا توجد علاقةٌ صوتيةٌ مطلقًا بين الهمزة وبين الياء والواو توجب إبدالًا ما، بل إنّ الأمرَ عند التّحليل يؤكّد أنّ الذي حُذِفَ من أجل الهمز ليس واوًا ولا ياءً، وإنّما هو ضمّةٌ أو كسرةٌ، كساو: Kis'au (والأصل kis'aw) ‹kis'à، فالكتابة الصّوتية التّحليليّة للحركة اللّينة المزدوجة تبيّن أن نهاية الكلمة التي هي الألف الممدودة والواو، ليست في الحقيقة سوى: فتحة طويلة + ضـــمّة (à+u')، ينشأ عن النّطق بهـــما متّصلين نصفُ حركة semi–voyelle، هي الواو w، التي هي في الواقع ذات وجودٍ سياقيٍ phonologique، أمّا من النّاحية الصوتية phonétique فلا وجود لها عند التّحليل، لذا انشطر عنصراها عند الهمز، فضاع شطرٌ هو الضّمّة، وبقي شطرٌ هو الفتحة الطّويلة[1]، ويضيف الباحث شاهين أنّ للهمزة في مثل كساء وبناء، وظيفة أخرى – فضلًا عن مهمّتها كوسيلة لإقفال المقطع المفتوح– وهي تقوية النّبر، فعلى الرّغم من أنّه نبرُ طولٍ، إلّا أنّ اختتام المقطع المنبور بصوت نبريّ يمنح النّبر قوّة أخرى[2].

أمّا الباحث سعيد شواهنة فيرى أنّ ما ذهب إليه الصّرفيون في مثـــل: كســـاو

[1] – عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 81

[2] – المرجع نفسه، ص ص 86، 87

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

←كسااا ←—— كساء، و: بناي ←— بنااا ←— بناء، يتنافى مع العرف الصّرفيّ في العربيّة، إذ إنّه لا يوجد ألفٌ أصلًا حتّى تنقلب إلى همزة، وقد ذهبوا – يقصد الصّرفيين – إلى أنّ الألف الأولى حاجزٌ غير حصين، ولم يعتدّوا بها، بل تعاملوا معها على أنّها غيرُ موجودة، وتوهّموا وجود فتحة قبلها، فتمّ التّعامل مع الفتحة المتوهّمة، ونعتوا الألف بأنّها ساكنة، وفي هذه الحالة حرّكت الألف فقلبت همزة، فكيف تحرّكت الحركة؟، فالألف لا يوجد لها صورة كتابية مشابهة لغيرها، مثل الواو والياء المدّيتين، فلا توجد ألفٌ ساكنة وألف متحرّكة[1].

وهو إذ يعيب على الصّرفيين صنيعهم، فإنّه يتبنّى فكرة الدكتور شاهين "لأنّ كلّ ما حدث في هذه البنية وما شاكلها، هو وقوع الواو والياء بوصفهما نصفي حركة في نهاية مقطع ساكنين في حالة الوقف وهما ضعيفان، وزاد من ضعفهما سكونهما، إضافة إلى أنّهما سُبقا بحركة طويلة، فأراد النّاطق العربيّ أن يقوّي البنية، ويغلق القناة الهوائية المكوّنة من الحركة ونصف الحركة"[2]، ويختلف مع الدكتور شاهين الذي يرى أنّ الواو مكوّنة من ازدواج الضمّة مع الفتحة الطويلة، بينما يذهب هو إلى القول بأنّ الصوت الأخير في مثل: كسا هو نصف حركة، وليس مكوّنًا من ضمّة وفتحة، فأصل البنية كِسَوٌ ka|sa|wa، فصيغ المصدر منها على وزن فِعال، فتمّ تطويل الفتحة القصيرة التي

[1]– سعيد محمد شواهنة، القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين، دار الوراق للنشر، الأردن، ط1، 2007، ص ص 98، 99

[2]– المرجع نفسه، ص 198

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

قبل الواو فأصبحت في حال الوقف كساو، فالوقف هنا ليس على حركة بل على نصف حركة، سواء أكانت الواو أو الياء[1].

جـــ/– ما كان على وزن" فاعل" من الفعل الأجوف: تفسير هذه الظاهرة في ضوء علم اللغة الحديث أخذ أبعادًا مختلفة، فالدّكتور رمضان عبد التّواب يرفض أن يكون التّفسير الصوتيّ أساسًا لانقلاب الياء والواو همزةً، ذلك أنّ" من يدرس علم الأصوات، ويقف على طبيعة التّطور الصّوتيّ، وأنّه يتمّ بين الأصوات المتقاربة المخارج أو الصّفات، يدرك على الفور بُعدَ ما بين الهمزة من جهة والياء والواو من جهة أخرى في المخرج والصفة... ولا تفسيرَ عندنا لمثل هذا الانقلاب، إلّا بمبدأ الحذلقة والمبالغة في التّفصّح مرّة أخرى"[2].

ويذهب الباحث عبد الصبور شاهين إلى أنّ المشكلة في هذه البنية يكمن في تتابع الحركات، وأنّ تفسيرها يرجع إلى مجرّد التّعويض المـــوقعيّ، ففي مثل: قاول وبايع، هرب النّاطق من تتابع ثلاث حركات في الأوّل: q'awil، التي هي في الحقيقة q'au–il، وكان نبره لأوّل المقطع الثّاني وسيلة للتّخفيف من ثقل تتابع الحركات، وكذلك في المثال الثاني: بايع ←— b'ayiʿ الذي هو الحقيقة ›bà--i، فهمز المقطع الثاني هربًا من التّتابع، إذ يلاحظ أنّ الواو والياء قد حذفتا، وقد حلّت مكانهما، ولا يعدّ هذا من الإبدال في شيء عند الدكتور شاهين، لأنّ الإبدال يكون في نظره بين حروف المتقاربة، ولا يوجد

[1]– المرجع نفسه، ص ص196، 197

[2]– رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة في اللغة العربية، ص 141

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

هنا أيّة قرابة صوتية بين الهمز والألف والواو والياء، ولكن لا مانع من حذف صوت ليقع آخر موقعه، لا على سبيل الإبدال، بل على سبيل التّعويض المقطعيّ[1].

وثمّة من يذهب إلى ما هو قريب ممّا رآه الدّكتور عبد الصبور شاهين، فالباحث عبد الله كناعنة يرى أنّ الأصل عند صياغة اسم الفاعل مـــن قال وباع، أن يقال: قاول kàwil، وبايع bàyi›، إذ تشكّلت في كلّ منهما حركة مزدوجة هي (wi) في قاول kàwil، و(yi) في بايع bàyi›، وقد استثقلت العربية هاتين الحركتين، ولجأت في سبيل التّخلّص منهما إلى حذف شبه الحركة (w) و(y)، فصارت الكلمتان (kàil) و(bài›)، حيث نلحظ التقاء الفتحة والكسرة فيهما، وهذا وضع مرفوض في اللغة العربية، ولهذا فقد اضطرّت اللغة في سبيل التّخلّص من هذا الوضع غير المقبول إلى اجتلاب الهمزة بين الحركتين، فصارتا:

قائل kàil، وبائع bà› i‘[2].

ولقد مثّل الباحث أحمد سالم لما جرى لاسم الفاعل من هذين الفعلين، قاول وبايع، بالكتابة الصوتية الآتية:

أ/– قاول	قا..ل	قائل
kà’il	kà..il	Kàwil
ب/– بايع	با..ع	بائع
bàyi‹	bà..i	bà›i‹
(1)	(2)	(3)

[1]– عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 88

[2]– عبد الله محمد كناعنة، أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية، دراسة لغوية، مطبعة كنعان، الأردن، ط 1، 1997، ص 162

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

فالصّيغة الصّوتية هي الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه اسم الفاعل من الفعل قال kàla، وباع bà›a، إذ يلاحظ أنّه قد تشكّل في هذه الصّيغة الحركة المزدوجة (wi) في (أ) و(yi) في (ب)، وهما حركتان مستثقلتان، تتزع اللغة إلى التّخلّص منهما، ممّا أدّى إلى حذف شبه الحركة (w) و(y) من كليهما، وهذا ما تمثّله الصيغة الثانية، وبهذا الحذف حدث خلل في البنية الإيقاعية لاسم الفاعل، كما يلاحظ أنّه قد التقت حركتان، وهذا الوضع مرفوض في اللغة العربيّة، ولكي يتمّ التّخلّص من هذا اجتذبت اللغة الهمزة، ومجيء هذه الهمزة أدّى إلى عدم التقاء الحركتين، ثمّ المحافظة على إيقاع اسم الفاعل[1].

أمّا الباحث فوزي الشّايب فيرى أنّ عين الأجوف في الماضي ساقطة، وأنّ وزن قال وباع، هو فال fàla، وعند صياغة اسم الفاعل منه تبقى العين ساقطة، إذ يصاغ اسم الفاعل من هذين الفعلين، بحيث يكون بعد فائه فتحة طويله (à)، تليها كسرة قصيرة (i) التي هي كسرة العين السّاقطة، والذي أدّى إلى تشكّل الهمزة هو تحقيق الكسرة، فالأصل إذن في قائم وبائع، هو: قاوم kàwim، وبايع bàyi›، وهنا وقعت أشباه الحركات الواو (w) والياء (y) بين حركتين فسقطتا، فتتابعت حركتان kàim و›bài، وهذا لا يجوز البتة، ممّا أدّى إلى تحقيق الكسرة، وبتحقيقها تخلّقت الهمزة، فكان الناتج (قائم kà'im، وبائع ›bà›i)[2].

وممّا سبق يتّضح لنا أنّ المحدثين قد ذهبوا إلى انّ صنيع المتقدّمين في قلب الواو والياء إلى الألف، ثمّ قلب الألف همزة في مثل هذه الأمثلة، فيه شيء من العنت، لأنّ

[1]– أحمد سالم، المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدّراسات الصوتية الحديثة، ص 217

[2]– فوزي حسن شايب، تأمّلات في بعض ظواهر الحذف الصّرفي، حوليات كلّية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة، الرسالة 62، 1989، ص ص 69، 70

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

الألف حركة طويلة، ولا تسبق بفتحة أخرى، إضافة إلى أنّهم لم يعتدّوا بهذه الألف وتعاملوا مع الفتحة المتوهّمة قبلها، فالذي حدث في هذه البنى، وما جاء على شاكلتها، محاولة الناطق التّخلّص من التّتابع بين نصف الحركة والحركة، ونصف الحركة صامت ضعيف، فأرادوا تقوية البنية بصامت نبري قوي، وهو الهمز، وعليه فإنّ النّسيج المقطعي للبنى السّابقة على النّحو الآتي: قاول qaa|wil، بايع baa|yi، فهناك تقارب أو سلسلة تقاربية مكوّنة من الحركة الطويلة، علاوة على أنّ نصف الحركة وقعت في بداية مقطع وهي ضعيفة، وبداية المقطع يحتاج إلى صوت قويّ ونشاط عضوي، فعمد النّاطق العربيّ إلى البحث عن صوت قويّ فأتى بالهمزة لأنّها صوت قويّ نبريّ[1].

د/– إذا التقت واوان في بداية الكلمة تهمزُ أولاهما: أرجعت الدّراسات الصّوتيّة الحديثة سبب همز الواو في مثل هذه البنى إلى قانون المخالفة، فيعتقد الدكتور رمضان عبد التّواب أنّ تفسير سبب هذا الهمز ليس إلّا أثرًا من آثار قانون المخالفة، والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية، هو أنّ المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النّطق بهما في كلمة، ولتيسير هذا المجهود العضليّ يقلب أحد الصّوتين صوتًا أخر، من تلك الأصوات التي تتطلّب مجهودًا عضليًّا[2]، وينقل الباحث عن "برجستراسر" أنّ العلّة في التّخالف نفسية محضة، فإنّا نرى النّاس كثيرًا ما يخطئون في النّطق، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض، لأنّ النّفس يوجد فيها قبل نطق الكلمة تصوّرات الحركات اللّازمة على ترتيبها، ويصعب عليها

[1]– سعيد محمد شواهنة، القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين، ص ص 100، 101

[2]– رمضان عبد التوّاب، التّطور اللغويّ مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997، ص 64

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

إعادة تصوّر بعينه بعد حصوله بمدّة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرّر وتتتابع فيها حروف متشابهة[1].

أمّا الباحث فوزي الشّايب فيذهب إلى أنّ تعليل السّلف إبدالَ الواو همزةً غيرُ صحيحٍ، فالإبدال بين الأصوات لا يتمّ إلّا إذا كان بينهما تقارب في المخرج، وما دام الامر كذلك فإنّه لا يجوز أن نقول بأن الواو أبدلت منها الهمزة في مثل: وواق ⟵ أواق ونظائرها، ذلك أنّه لا يوجد أيّ قرب بين الواو والهمزة من حيث المخرج، ولا من حيث الصّفات، فالهمزة وقفة حنجرية مهموسة، والواو صوت انطلاقيّ شبه حركة شفوي، أقصى حنكي مجهور، فهما من حيث المخارج والصفات متباعدان، ومن ثمّ لا يمكن البتة أن يبدل أحدهما من الآخر، فالهمزة ليست سوى تحقيق لحركة الواو المحذوفة:

وواق ⟵ أواق، awàkin ⟵ àwàkin wawàkin ⟶

فبعد سقوط الأولى من الواوين، وإبقاء حركتها نشأ مقطع من نوع (ح ص) وهذا لا يجوز البتة في العربيّة، فحقّقت الحركة فصارت همزة، لأنّ المقطع في العربيّة لا يبدأ إلّا بصامت[2].

وقد أرجع الدكتور شاهين وجوب قلب أولى الواوين همزة إلى النّموذج النّطقي الذي جرى عليه اللسان العربيّ، من عدم البدء بحركة، فكلمة "وولى" تبدأ بحركات يصعب نطقها، فجرى النّطق العربيّ على نبر مقطعها الأوّل، تفاديًا للنّطق بحركة في بدء الكلمة، فصارت كتابتها:

Ouu|laa < wuu|laa < wuw|laa

[1] – المرجع نفسه، ص 65

[2] – أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، ص 340

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

وقد كان همز المقطع هنا، تخلّصًا من هذا التّجانس الثقيل الذي توهّمه الصّرفيون واوين، بسبب خلطهم بين الرّمز الكتابيّ ومدلوله الصّوتيّ [1].

ويختلف الباحث سعيد شواهنة مع الدكتور شاهين، ويرى أنّ في رأيه بعض الخلط، ذلك أنّ الواو الثانية في صيغة (وولى) لم تكن حركة من جنس الواو كما ادّعى، بل هي نصف حركة ساكنة، والصّيغة على (فعلى) وليس على وزن (فولى) كما يذكر، فقد مرّت الصّيغة بالمراحل التالية:

ووولى wuw|laa > أولى ouw|laa أولى ouu|laa

بمعنى أنّه بعد قلب نصف الحركة الأولى إلى همزة، ثمّ قلب نصف الحركة الثّانية إلى ضمّة قصيرة، كوّنت مع الضمّة القصيرة السّابقة عليها ضمّة طويلة، هكذا:

ouu|laa <ouw|laa < wuw|laa

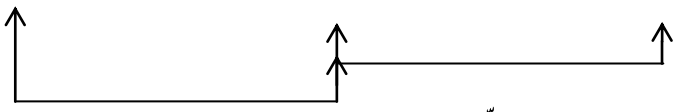

ويرى الباحث أنّ للقلب في مثل هذه الأمثلة أسباب كثيرة، تحكمها طبيعة الصّوت المتغيّر، والنّسيج المقطعيّ للبنى اللغوية والموقعية، علاوة على أنّ الهدف الرّئيسي من القلب هو تحقيق السّهولة في النّطق[2].

و يضيف الباحث أحمد سالم تفسيرًا لهذه البنية من خلال الكتابة الصوتية الآتية:

وواصل	..اصل	أواصل
äwàsil	awàsil	Wawàsil

[1]– المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصّرف العربيّ، عبد الصبور شاهين، ص 179

[2]– ينظر: سعيد شواهنة، القواعد الصرف صوتية، ص 201 وما بعدها

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

(1) (2) (3)

فيرى أنّ الصيغة الأولى قد بدأت بمقطعين صوتيين متشابهين، وبتعبير آخر بدأت بحركتين مزدوجتين متشابهتين هما (wa) و(wà)، ويبدأ بهما المقطع الصّوتيّ الأوّل والثّاني، وتتابع هاتين الحركتين المزدوجتين ثقيل، وهذا يؤدّي إلى نزوع العربيّة إلى التّخلّص من هذا الثّقل، فتخلّصت منه عن طريق حذف شبه الحركة (w)، التي يبدأ بها المقطع الأوّل، وبهذا أصبح المقطع مبتدئًا بحركة، وهذا ما تمثّله الصيغة الثانية، وكما هو معلوم في اللغة العربيّة، لا يبدأ بحركة، بل يجب أن يبدأ بصامت، وللتّخلّص من هذا الوضع، عمدت اللغة العربية إلى اجتذاب الهمزة، حتّى يبدأ المقطع بصامت، ويكون صحيحًا مقبولًا، وبهذا تكون الهمزة قد حلّت مكان الصوت المحذوف للحفاظ على البنية المقطعية للكلمة، وهذا ما تمثّله الصّيغة الثالثة[1].

2.3 إبدال الهمزة من الألف:

أ/– إبدال ألف التأنيث همزة: ذهبت الدّراسات الحديثة إلى أنّ الألف الممدودة ما هي إلّا تطوّر للألف المقصورة، نظرًا لكراهة العربيّ أن تنتهي الكلمة في نطقه بمقطع مفتوح، فهو يُؤْثِر إقفالَه بالهمزة، فموقف العربيّ واحد بالنّسبة إلى ما انتهى بألف مقصورة، ففي مثل: حمرا وصحرا، تصبح الصّورة المفضّلة عنده: حمراء وصحراء، وفي مثل: كساو، وبناي، تصبح: كساء وبناء، ولا فرق في الحالين إلّا أنّ حمرا وصحرا نهايتهما فتحة طويلة، وكساو وبناي نهايتهما صوت لين مزدوج[2].

[1] – أحمد سالم، المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدّراسات الصوتية الحديثة، ص 204

[2] –عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 84

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

هذا وقد اعترض المحدثون على تفسيرات ابن جنّي، ورأوا أنّ حججَه في إبدال الألف همزة ليست مقنعة لأمر مهمٍ هو أنّ قلب الألف غير مقبول صوتيًا، إذ الهمزة صوتٌ مختلفٌ بخصائصه الصّوتية عن الحركة الطّويلة، والقول بقلب أحدهما عن الآخر وقوفٌ عند وصف سطحيّ للظاهرة، ثمّ إنّ القول باجتماع ألفين غير مقبول من النّاحية الصوتيّة، لأنّ الألف حركةٌ وليست صوتًا صامتًا، يمكن أن يلتقي بغيره ساكنًا، ولذلك استحال أن تدغم الألف في نفسها أو في غيرها، لأنّ الإدغام من خصائص الأصوات الصّامتة لا الحركات، أمّا التّفسير الصّوتيّ المقبول هو أنّ هذه الأسماء كانت تنتهي بهمزة للتّأنيث، فأصل صحراء: صحرأ، وحذفت الهمزة استثقالًا، وعوّض عنها بمطل الفتحة فصارت: صحرا، غير أنّ هذه الحركة الطّويلة زيدَ في مدّها حتّى صار المقطع بحاجة إلى أن يقفل، فأقفل بحبس الهواء، وهو ما يسمع همزة: صحرأ ← صحرا ← صحراء[1].

ب/– إبدال الألفِ همزةً ارتجالًا وشذوذًا: ناقش الدكتور شاهين آراء ابن جنّي، ورأى أنّ وصفه للهمز في هذه الحالة بأنّه مرتجلٌ هو في الحقيقة إشارة إلى وظيفة، لأنّ العربيّ الذي ارتجله إنّما اختار له موقعًا معيّنًا، خضوعًا لضرورة صوتيّة معيّنة، فأمثلة همز الألف في مثل: الضألين " فسّرها ابن جنّي بأنّ الألف تحرّكت بحركة السّاكن قبلها فهمزت، وفسّرها "فليش" بالهروب من المقطع المديد لكراهة النّطق بمصوّت طويل في مقطع مقفل، ونفسّرها نحن بما سبق أن قرّرناه من أنّ النّبر في لسان قبائل البادية يأخذ

[1]– أبو أوس إبراهيم الشّمسان، الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلّة في ضوء كتاب سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والعشرون، الرسالة 186، 2002، ص ص 34،35

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

صورة التّوتر، على حينٍ يأخذ صورة الطّول في لســـان غيرهم مـــن الحضريين، وقد اتّخذ التّوتر صورة الهمزة نظرًا لشدّة ضغط النّاطق على المقطع، رغم أنّه لا مادة الكلمة ولا أيّة صيغة من صيغها الاشتقاقية تحتوي همزة، الأمر الذي يؤكّد أنّ رمز الهمزة هنا علامة نبر لا أكثر[1].

ويذهب كثيرٌ من الباحثين إلى أنّ الذي أتى به ابن جنّي من تحليل لهذه الصّور، إنّما هو نتاج النّظر في المكتوب لا المنطوق، وهو ما يتوافق في ذلك والرؤية التّقليدية عامة، تلك الرؤية التي تنظر في المكتوب بوصفه اللغة، وعليه راح تحليلها للغة يتّجه لأن يكون تحليلًا للكتابة[2]، فالكتابة الصوتية الحديثة تظهر الأمر على خلاف ما جاء به ابن جنّي، فكلمة" جان" صارت: جأن، وبالتّمثيل الصوتيّ: jaan ⟶ ja^{a}n

فوظيفة الهمز في هذه الكلمة تمثّلت في نقل الكلمة من مقطع واحد مديد مغلق – والذي تسعى اللغة دائما للتّخلص منه – إلى مقطعين: "جـــ " س ح، "أن" س ح س.

أمّا في كلمة" الضألين"، فكان التّحوّل على ذات النّحو: đa^{a}aliin ⟵ đaaliin، فكلمة "ضالين" تتكون من مقطعين طويلين مغلقين هما: ضالْ "daal" ولينْ "liin":

س ح ح س | س ح ح س ، daa|liin

[1]– عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص128

[2]– محمد أحمد سامي أبو عيد، الهمز في محتسب ابن جنّي: دراسة صوتية معاصرة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، السنة الخامسة، ديسمبر 2014، ص 90

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

وعليه مال النّاطق اللغوي للتّخلّص من توالي هذين المقطعين المغلقين، تجزيئ الكلمة إلى ثلاثة مقاطع في "ضألين"، هما مقطع قصير مفتوح ومقطع قصير مغلق، ومقطع طويل مغلق على النّحو الآتي:

ض: س ح

أل: س ح س

لين: س ح ح س

وكذلك حدث للأمثلة من قبيل " رجلاً" و" حبلاً"، تكشف عنه الكتابة الصوتية الآتية:

rajula' ⟶ rajulaa ، aa ⟶ a›

فقد حدث تقصير الحركة الطّويلة "aa" لتكون حركة قصيرة فتحة "a"، وحدث تعويض التّقصير أو الاختزال بإضافة الهمزة، ليقفل المقطع الأخير في الكلمة بمقطع قصير مغلق بدلًا من المقطع المفتوح:

la' ⟵ Laa .... س ح ح ⟵ س ح س[1].

فالوقف على الهمزة هو انقطاع للنّفس، ويبدو أنّ بعض المتحدّثين يبالغ في إظهار الألف ومدّها، وهي تُكوِّن مع الصّوت السّابق عليها مقطعًا مفتوحًا، فإذا كان هذا المقطع منبورًا كان بحاجة إلى أن يقفل، ويكون قفله بالحبس الذي يظهر على شكل الهمزة، وهذا ما يحدث في ألفاظ أخرى، وهي الأسماء الممدودة المنتهية بهمزة منقلبة عن واو أو ياء، مثل: بناء وسماء، فالواو والياء حذفتا، فلمّا حذفتا مطلت الألف تعويضًا عن

[1]– ينظر: محمد أحمد سامي أبو عيد، الهمز في محتسب ابن جنّي: دراسة صوتية معاصرة، ص 91 وما بعدها

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

المحذوف، فأقفل المقطع بحبس الهواء، وهو ما يسمع همزة، وقد يقال إنّ الألف قد أذهبت في مثل "حبلأ" ونحوها، والجواب أنّ المقطع الطويل المقفل في نهاية الكلمة حوّل إلى مقطع قصير مقفل بتقصير الحركة الطويلة[1]:

ح .ُب ل .َ.َ ء ← ح.ُ ب ل .َ ء

4. ملاحظات على آراء المحدثين:

يرى المحدثون أنّ المتقدّمين عمومًا وابن جنّي خصوصًا قد عالجوا حروف العلّة علاجًا تقليديًا تعوزه الدّقّة والوضوح، إذ خلطوا في علاجها بين الرّمز المصوّت والصّوت، الأمر الذي قاد إلى جمع من المشكلات في التّحليل، والوصول إلى نتائج حقيقية، وانصرفوا في جلّ مناقشاتهم إلى شيء من وظائفها الصّرفية والنّحوية، متناسين قيمتها الصوتية التي من شأنها أن تفصح عن حقائقها ووظائفها في البنية اللغوية[2].

والذي ينظر في حجج المحدثين يجد اتّفاقًا بين الباحثين، إذ يكادون يجمعون على أنّ القول بإبدال حروف العلّة همزة قولٌ فيه تجاوز، وهو تفسير غير صحيح كما حكم بذلك الباحث فوزي شايب، وذلك لعلّة ظاهرة هي انعدام القرابة الصوتية بين الهمزة وحروف العلّة تحدثُ بموجبها عملية الإبدال .

إنّ القول بعدم وجود قرابة صوتية بين الهمزة وحروف العلّة فيه نظر، ذلك أنّ العربيّ لم يهمز الحرف المعتلّ اعتباطيًا من غير علّة، فهو قد أَلِف همز ما لا يهمز، وهذه

[1]– أبو أوس إبراهيم الشّمسان، الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلّة في ضوء كتاب سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ص 32

[2]– كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنّشر، د ط، 1998، ص 6

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

الألفة لا بدّ أنّ لها دواعٍ، ثمّ لِمَ لجأ إلى الهمز في هذه المواطن دون غيرها من الصوامت التي تعدّ قريبة من حروف العلّة من حيث العلاقة الصّوتية؟.

إنّ المشكلة تحتمل أحد أمرين: الأول: أن يقال إنّ العلاقة بين الهمزة والواو والياء والألف موجودة في ذهن العربيّ، الذي كان إذا سهّل الهمزة المضمومة جعلها واوا في مثل: مومن، وإذا سهّل المكسورة جعلها ياءً في مثل: بير، فحين أراد التّخلّص من الواو والياء والألف جعلها همزة.

الثانية: أن يقال إنّ هذه الكلمات كانت في الأصل مهموزة، فالأمثلة مثل: سماء وبناء وما تصرّف منهما وما أشبههما كان مهموزًا في الأصل، أي: سمأ يسمؤ، بزنة نصر ينصر، وبنأ يبنئ، بزنة ضرب يضرب، ولكثرة الاستعمال سُهّلت الهمزة وأخفيت حتّى اضمحلّت، وحلّ محلّها إشباع حركة الحرف الذي قبلها، كما فُعِل بالمهموز الآخر في اللهجات العامية، كقولنا في بدأ ويبدأ: بَدَ ويَبْدَ...

أمّا صحراء وبابه، فيمكن أن تكون الهمزة قد زيدت فيه أصلًا، أي أن يكون العرب جين تحوّلوا عن التّاء في المؤنث عند الوقف إلى الهاء، فقالوا: فاطمة مثلًا، تحوّلوا في ألفاظ أخرى إلى الهمزة، إذ هي من الحلق كالهاء، ثمّ أشبعت الفتحة قبلها فصارت ألفًا، إلّا أنّ الهمزة في بعض الألفاظ أضعفت واستغني عنها بالإشباع الذي دخل الحركة قبلها فكان المقصور، وبقيت على حالها في ألفاظ أخرى فكان الممدود، ويكون مثل كلمتي سلمى ⟵ وحمراء، قد تدرج هكذا: سلمة ⟵ سلمأ ⟵ سلماء سلمى، وحمرة ⟵ حمرء ⟵ حمراء[1].

[1]– حسام سعيد النّعيمي، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنّي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980، ص 361

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

وأمّا من أنكر من المحدثين أن تكون الهمزة في نحو: كساء وبناء وحمراء، بدلًا من ياء أو واو أو ألف، وذهب إلى أنّ الذي حدث إنّما هو إقفال لمقطع مفتوح، بإحلال الهمزة محلّ صوت اللين لا على سبيل الإبدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة (إشارة إلى آراء الباحث شاهين) ففيه نظر، إذ هو يوافق العلماء العرب في أنّ أصل بناء وكساء وحمراء، هو بناي وكساو وحمرى، فلو سلّمنا بكلّ تعليلاته فإنّه لا يعدو ما قاله القدامى من إبدالٍ، على أنّه أصرّ على رفض فكرة الإبدال، ولا يغيّر الأمر أن نقول إنّ الهمزة في كساء وظيفة، وليست حرفًا في موضع حرف، إذ واقع الحال يشهد بأنّها حرف في موضع حرف، وأنّها لا تختلف في الصّوت عن الهمزة الأصل، في نحو: إنشاء، التي لا خلاف في أصالتها، فقد حلّ هذا الصوت محلّ الواو أو الياء أو الألف، وأن يحلّ الصّوت محلّ الصّوت لا يخطئ من يطلق عليه لفظ الإبدال[1].

وأمّا همز عين الفاعل من الأجوف في مثل: قائم وبائع، فقد ناقش الباحث النّعيمي تعليلات المحدثين، خاصة آراء الباحث شاهين، الذي يعلّل الهمز في هذه الحالة بمجرّد التّعويض الموقعيّ الذي تقتضيه وظيفة الصّوت في الدّلالة أو غيرها، وذلك بحذف صوت ليقع آخر موقعه، لا على سبيل الإبدال لأنّ الإبدال بكافة معانيه يتطلّب قرابة صوتية هي هنا معدومة[2]، فيرى الباحث النّعيمي أنّ القرابة الصوتية موجودة بين الهمزة والواو والياء والألف، وهي قرابة صوتية ذهنية، فقد ألف العربيّ التّحوّل من الهمزة إلى الألف أو الواو أو الياء، وألِفَ العربيّ الذي يحقّق الهمزة سماع صوت الواو والياء والألف في الموضع الذي يهمزه كما هو، كما ألِفَ الذي يسهّل سماع الهمزة في مواضعهن،

[1]– ينظر: حسام سعيد النّعيمي، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنّي، ص ص 358، 359

[2]– عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 88

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

فتكون نوع من العلاقة الذّهنية عند العربيّ بين الهمزة وهذه الأصوات، سواء أكان ممّن يهمز أم ممّن يسهّل، فلمّا تكوّنت عنده صورة لفظية مكروهة هي الواو المكسورة أو الياء المكسورة، كان أمامه أن يأتي مكانها بحرف صامت، لأنّ الألف ههنا يؤدّي إلى الحذف واختلال الصّيغة، وكان الصّامت المرتبط في ذهنه بالواو والياء في حلول بعضها بعضًا هو الهمزة، فانتقل إليها ... أو يُحتمل أن يكون الأجوف في الأصل مهموزًا، ويكون الأصل في قال يقول: قأل يقؤل، بزنة نصر ينصُر، وباع يبيع: بأع يبئع، بزنة ضرب يضرب، وهكذا ما تصرّف منها، ومنه: قائل وبائع، ثمّ سهّلت الهمزة في الفعل حتّى جعلت بين بين، فقرّبت من الألف إذا كانت مفتوحة، ومن الواو إذا كانت مضمومة، ومن الياء إذا كانت مكسورة، ثمّ خلصت بكثرة الاستعمال إلى الحركات المشبعة الألف والواو والياء، وبقيت في اسم الفاعل، مثل قائل وبائع، وإن سهّلت فيما بعد في اللهجات فقيل: قايل وبايع[1].

ويذهب الباحث عبد الغفّار حامد هلال إلى القول بأنّ المقاييس التي اعتمدها المحدثون لم تفِ بالمطلوب من التّفسيرات والتّوجيهات، خاصة تلك التي طرحها الدّكتور عبد الصبور شاهين، فتعليل شاهين إحلالَ الهمزة محلّ الواو والياء في آخر الكلمة، بأنّ العربيّ يكره الوقف على مقطع مفتوح، يتنافى مع الواقع، ذلك أنّ الكلمات لم توضع لتستعمل مفردة، بل لتستعمل في تراكيب تؤدّي معنى مقصودا، وعلى هذا فالوصل هو طريق استعمال ألفاظ اللغة لا الوقف، فإذا قيل: كساو الصيف خفيف، وبناي البيت ثابت الدعائم مثلا، فليس هنا وقف على مقطع مفتوح، وكذلك لو نطقنا: كساو

[1]– حسام سعيد النّعيمي، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنّي، ص 363

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

وبناي، بالتنوين، لم يوجد المقطع المفتوح أيضًا[1]، ويتساءل الباحث، لماذا لم تقلب كلٌّ من الواو والياء همزة في مثل: غايٍ ورايٍ وطاوٍ وراوٍ، مع تحقّق ما قال فيهما، لو افترضنا حالة الوقف؟، ولماذا لم يحدث ذلك في مثل التّراخي والفيافي والتّسامي، مع وقوع الياء طرفًا، ووجود المقطع المفتوح في حال الوقف أيضا؟.

ومن الأدلّة التي اعتمدها الباحث في الحكم على اضطراب تفسيرات الدكتور شاهين، أنّه – وفق مقياسه – لا نجد تفسيرًا لاختلاف حالات التثنية والجمع المتعدّدة، من وجوب بقاء الهمزة في مثل: قرّاء، وقلبها واوًا في مثل: صحراء، وترجيح أحدهما في مثل: كساء وبناء وعلباء، ولو سلّمنا له بأنّه يعلّل للألفاظ المفردة فإنّه قد علّل لنحو: حمراء، بأنّها نبرت لإقفال المقطع، وكان يمكن أن يقفل بطريق آخر، مثل: حبلأ، فيقال: حمرأ مثلا، فلم اختصّ كلّ بطريق؟، على أنّه قد تبع بروكلمان في أنّ علامة التأنيث تطوّرت على النحو التالي: ä - a- ah – at، ومعنى ذلك أنّ العربيّ كان ينطق بها: حمرت – ثمّ حمرة– ثمّ حمرى– ثمّ حمراء، وهذا التّطور لا دليل عليه، ومع ذلك فلو تصوّرنا صحّته لأمكن أن يقفل المقطع فيقال: حمرت أو حمرة، بالرّجوع إلى أصل سابق، وبهذا يتبيّن عدم دقّة رأيه المذكور[2].

هذا، ويخالف الباحث عبد الغفّار حامد هلال المحدثين، في عدّهم الواو والياء غير المدّيتين حركتين "فإنّ التقسيم المقطعيّ يؤكّد اعتبارهما صوتين ساكنين، مثل: يقع ويذر، ووزن ووعد، فكلّ من الكلمات السّابقة مكوّن من ثلاثة مقاطع، كلّ منها مكوّن من صوت ساكن + لين قصير، وفي مثل: وجوه، لا يمكن الاعتراف بأنّ الواو مجرّد حركة،

[1]– عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطوّرا، ص 163

[2]– المرجع نفسه، ص 163

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

لأنه إذا كانت كذلك، فقد قُلِبت الضّمّة (u) على هذا الفرض همزة في" أجوه"، ومن أين أتتْ ضمّة الهمزة بعد القلب المذكور[1].

الخاتمـــة:

جماع القول من كلّ ما مضى، أنّ إبدالَ الهمزة من حروف العلّة عند ابن جنّيّ، يُعدّ من الإشكالات التي طرحها علم اللغة الحديث، وحاول إعادة صياغتها وعلاجها علاجا يتّسم بالدّقّة والموضوعية، ورغم أنّ كثيرًا من الباحثين المحدثين قد اعترضوا على كيفية معالجة القدماء ظواهرَ إبدال الهمزة، ورأوا أنّهم قد خلطوا بين قيمة الصّوت ووظيفته، إلّا أنّهم قد وقعوا في كثيرٍ من الأخطاء جعلت أحكامهم في اضطراب وخلطٍ، فالقول بامتناع العلاقة الصّوتية بين حروف العلّة والهمزة قولٌ يحتاج إلى إعادة نظر، فالعربيّ أَلِفَ همز ما لا يهمز، وهذه الألفة تحتاج إلى تفسيرٍ ومراجعة، وليس إلى القول بانعدامها، أضف إلى ذلك تباينُهم في الآراء والأحكام، واختلافهم حول زاوية التأويل، واختلافهم حول طبيعة حروف العلّة جعلت أحكامهم ومناقشاتهم مظنّة للخلل، ثمّ إنّ رفض المحدثين أن يكون الذي وقع بين حروف العلّة والهمزة إبدالاً، وتعليلَهم ذلك بالتّعويض المقطعيّ إمّا بالحذف أو القلب المكانيّ، كل ذلك لا يخرج عن دائرة الإبدال الصّوتيّ بمفهومه العام، وهو صورة من صوره.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية، عبد الله محمد كناعنة، دراسة لغوية، مطبعة كنعان، الأردن، ط 1، 1997.

[1]– المرجع نفسه، 164

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

2. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشّايب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004.

3. التّطور اللغويّ مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997.

4. دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنّشر، د ط، 1998.

5. الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنّي، حسام سعيد النّعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980.

6. دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2006.

7. سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، ت: محمد حسن إسماعيل وأحمد شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2007.

8. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، قدّم له ووضع هوامشه: حسن حمد، إشراف الدكتور: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

9. فقه اللغات السّامية، كارل بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التّواب، د ط، د ت.

10. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصّبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت .

11. القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين، سعيد محمد شواهنة، دار الوراق للنشر، الأردن، ط1، 2007.

12. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1966.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 694–730 تاريخ النشر: 25ـ03ـ2021

13. اللهجات العربية، عبد الغفار حامد هلال، نشأة وتطوّرا، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة منقحة، 2011

14. مشكلة الهمزة العربية، د. رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1996.

15. المماثلة والمخالفة بين ابن جنّي والدّراسات الصّوتية الحديثة، د سالم أحمد بني حمد، دار اليازوري، الأردن، ط 1، 2011.

16. الممتع في التّصريف، ابن عصفور، ت: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978.

17. المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ابن جنّي، ت: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

18. المنهج الصوتيّ للبنية العربيّة، رؤية جديدة في الصّرف العربيّ، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة،، 1980.

ثانيا: المجلّات

1. الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلّة في ضوء كتاب سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، أبو أوس إبراهيم الشّمسان، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الثانية والعشرون، الرسالة 186، 2002.

2. تأمّلات في بعض ظواهر الحذف الصّرفي، فوزي حسن شايب، حوليات كلّية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة، الرسالة 62، 1989.

3. الهمز في محتسب ابن جنّي: دراسة صوتية معاصرة، محمد أحمد سامي أبو عيد، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، السنة الخامسة، ديسمبر 2014.